

**نبذة تاريخية عن ترجمات القرآن الكريم
إلى اللغة السويدية
(نقير)**

**إعداد الأستاذ/ محمد قنوت برستروم
ترجمة الدكتور/ وجيه بن حمد عبدالرحمن**

بسم الله الرحمن الرحيم

١- إن أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة السويدية تمت عام ١٨٤٣م على يد يوهان فردريك سباستين كروستولب الذي عمل سابقاً مدة خمسة عشر عاماً سكرتيراً في القنصلية السويدية في طنجة بالمغرب، كما عمل عام ١٨٤٧م قنصلاً ثم قنصلاً عاماً في الجزائر، وفي عام ١٨٦٠م عُيّن قائماً بالأعمال وقنصلاً عاماً في لشبونة، ثم عُيّن وزيراً عام ١٨٦٦م. ويبدأ ناقداً لترجمته في السنوات التالية بتأكيد الرأي القائل بأن من المستحيل ترجمة وثيقة إلى لغة أجنبية تعبر عن نظرة للعالم غريبة تماماً عن تصورات القراء، ولو تمت فإنها تعدّ في أحسن الأحوال ذات قيمة نسبية. ويقول: إن الكتاب الذي يوضح "دين محمد" (صلى الله عليه وسلم) يندرج تحت هذا الصنف من الترجمات. فالصعوبات التي تكتنف مثل هذا العمل تزداد ازدياداً ملحوظاً لكون لغته هي العربية التي تختلف طبيعتها اختلافاً كبيراً عن اللغات الغريبة عموماً، وتتميز - ولا سيما فيما يتعلق منها بالشعر- بالترايبط بين معناها الداخلي وشكلها (هيئتها) الخارجي لدرجة يتعذر معها الفصل بينهما سوى على حساب المعنى الداخلي، ويمكن أن يوصف حكم ذلك الناقد على ترجمة كروستوليب "Crusentolpe" بأي وصف غير وصف اللطف وبمضي وهو يسلك في ذلك مسلك الإيطالي مراتشي Marracci والإنجليزي جورج سيل Sale بحيث قيّد نفسه بنقل الفيض المتوهج بل البركاني، الروحاني للرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب نثري سويدي جافٍ وفارغٍ (لا معنى له). وعليه فإن هذا القرآن (أي ترجمته) لا تشترك مع النص الأصلي إلا في الاسم. وهذا ما يفشل أي جهد

يبدله أحذق القراء وأكثرهم اجتهاداً لقراءة هذا المجلد الضخم. ويمضي الناقد قائلاً بأن النص يغصّ بدلالات جليّة على الافتقار للدراية باللغة العربية وقواعدها أدت إلى سوء فهم تام للعديد من الفقرات. وليس ثمة ما يدل على أن المترجم قد اطلع بشكل مستقل على ما كتبه المفسرون العرب (في هذا المجال). ويعبر الناقد عن قناعته بأن المترجم أتمّ ترجمته مستعيناً بترجمة مراتشي اللاتينية (لمعاني القرآن الكريم) وترجمة سيل الإنجليزية. ولعل ذلك قد تمّ دونما اطلاع على النص العربي إلا ما ندر. إلا أنه يقرّر أيضاً أنه لم يجد متسعاً لتسويغ آرائه القاسية باقتباسات من النص. ويبدأ الناقد باقتباس من المقدمة التي يذكر فيها المترجم أنه سمع في شبابه وهو في المغرب قصة تابوت النبي الذي تعلّق بين السماء والأرض. ويقول: إنه لا يذكر كيف تأتّى له معرفة أن تلك القصة كانت مختلفة. ونظراً لاعتقادي بأن آخرين قد يكونون قد ضلّوا بهذه القصة قررت أن أنقل القرآن إلى لغتنا لتعريف بني قومي بصاحب شريعة وقانون لم يكونوا في وضع بعد لتكوين تصور سليم عنه. ويرى الناقد هذا التفسير لدوافع المترجم جد غريب وساذج. ويقول في النص المعنون: "لمحة عن محمد ودينه": إن المؤلف يورد بعد المقدمة مقتطفاً من المقدمة المصاحبة لترجمة سيل (Sale) الإنجليزية تتناول أهم جوانب الإسلام وما يُعرف عموماً عن حياة محمد (صلى الله عليه وسلم).

ولا نجد جديداً في هذا المقتطف سوى رأيه بأنه لم يكن لدى النبي (صلى الله عليه وسلم) في بداية بعثته خطط أو طموحات سياسية. "وفيما يلي مجموعة من الملاحظات حول النص والتصويبات المقترحة تشمل السورتين الأولى والثانية (من القرآن الكريم) حتى الآية (٩٣). ومن بين أمور أخرى يشير

الناقد بأن المترجم قد تصرّف في أزمنة الفعل تصرفاً اعتباطياً كبيراً مع التجاهل التام للسياق ومتطلبات المنطق. وإلا فإن ملاحظاته القليلة لا يبدو أنه يعلّق عليها أهمية كبيرة مع أنه يفرد - لدى ترجمة الآيتين ١٧-١٨ من سورة البقرة - وجهة نظر المترجم التي يقول إنه ربما استلهمها من سيل (Sale) القاضية بأن الكلمات ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] تقدم لجملة جديدة وأن الآية السابقة تتضمن حذفاً، وهو ما يعترض عليه الناقد. وأخيراً فإنه في الوقت الذي يأسف فيه الناقد بعدم إفراح مجالٍ كافٍ لهذه الملاحظات فإنه يقول إنه كان يتمنى أن تكون هذه الوثيقة (يعني القرآن الكريم) التي تمثل أسس الدين الإسلامي قد وقعت في يد مترجم أمهر وأكفأ للقيام بهذه المهمة الصعبة إذا قدّر لها أن تترجم إلى اللغة السويدية. ولا بد أن يضاف إلى مثالب كرسنتولب Crusentolpe أنه بالرغم من عرضه للإسلام عرضاً إيجابياً بصفة عامة غير أنه يفترض جلياً بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو مؤلف القرآن الكريم.

٢- أما المرة الثانية التي تصدّى فيها شخص لترجمة القرآن الكريم فكانت في عام ١٨٧٤م. وقام بهذه المهمة مستشرق في جامعة لُند (Lund) في جنوب السويد يدعى كارل يوهانس تورنبرغ Carl Johannes Tornberg الذي شغل كرسي اللغات الشرقية في تلك الجامعة منذ ١٨٤٧م. وقد فازت الترجمة بجائزة الأكاديمية السويدية للعلوم رغم أنها لم تكن مرضية تماماً، ولا سيما فيما يتعلق بمستوى لغتها السويدية المستخدمة في الترجمة غير أن أهمية المترجم للاستشراق السويدي وُصفت من قبل عالم من علماء زمانه كما يلي: لقد حمل عدسة العلم المتوهجة إلى نور الشرق وجعلها تشرق (تشع) على العديد من جوانب تاريخ الشرق والعالم الغربي. وقد حكم الدكتور نوردلنج

(Nordling) المختص باللغة العربية والذي شغل كرسي اللغات الشرقية في جامعة أبسالا (Upp-sala) عام ١٨٧٦م، حكم على الترجمة المذكورة من وجهة نظر لغوية بحتة. ووفقاً لبعض المصادر فإن حكمه كان قاسياً جداً. ويعترف نوردلنج بأن الترجمة تتسم عموماً بلغة سهلة إلى حدٍ ما يسهل فهمها، رغم عدم سلاسة أسلوبها غالباً.

ويشير الناقد كذلك إلى كثرة استخدام العبارات التوضيحية سواءً أكانت بالخط المائل أو بين الأقواس استخداماً مفرطاً، ولا سيما أن الدافع الرئيس وراء ذلك ميل المترجم لإعادة الصياغة. ويضيف الناقد بأن هذه السمة تُظهر النص على أنه نسيج غير سويّ (شاذ) أحد شطريه ترجمة والشرط الثاني تعليقات تفسيرية. كما يطرح نوردلنج بعض المبادئ أو القوانين التي يرى أن تحكم ترجمات بهذه الأهمية والتي اعتمدت في السويد وألمانيا في مجال ترجمات نصوص ما يعرف عندهم بالكتاب المقدس. (وهنا أودّ أن أضيف بهدف التوضيح بأن ألمانيا كانت في القرن التاسع عشر البلد الأجنبي الذي كان له نفوذ (تأثير) ثقافي وحتى لغوي على التطورات في السويد، وهو الدور ذاته الذي مارسه فرنسا في القرن الثامن عشر).

وتحذر هذه المبادئ المترجم من إعادة صياغة جملة كاملة دون داعٍ لذلك، وكذا الحال بالنسبة لأشباه الجمل والتعبيرات. كما تحذره من عدم التقيد بتسلسل الكلمات وأشباه الجمل، ومن التغييرات الاعتبارية في التبعية والربط التناسقي في أشباه الجمل، ومن تغيير في شبه جملة كأن تحوّل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول أو تغيير فعل يلزمه حرف جر إلى تركيب مضاف إليه (أو مجرور) أو إلى حالة المفعول المباشر أو المنصوب (المفعول به) والعكس صحيح.

وأخيراً فإنه إن وُجد في اللغة المترجم إليها استعارة تعادل استعارة في اللغة المترجم منها فإن على المترجم ألا يختار تعبيراً مختلفاً إلا لأسباب وجيهة. ويقول نوردلنج: إنه غالباً من جميع هذه النواحي يبدو أن تورنبرغ قد تحرر من تلك القيود (الضوابط) على نحو اعتباطي وتصرف تصرفاً تاماً، ثم يضرب عدداً من الأمثلة لتسويغ هذه النقطة. كما يذكر نوردلنج مبدأ آخر مهماً ينصح المترجم دوماً باستخدام ذات الكلمة أو التعبير في ثنايا ترجمته المعادلة للكلمة أو التعبير في لغة النص الأصلي طالما أن السياق لا يشير إشارة واضحة أن للكلمة في سياق آخر دلالة مختلفة.

وفي هذا الجانب أيضاً تبين للناقد أن المترجم تورنبرغ لم يلتزم في ترجمته بهذا المبدأ. أما فيما يتعلق بالشرح العديدة المكتوبة بخط مائل أو موضوعة بين قوسين، فإن المترجم يوضح في مقدمته أنه نصح هذا المنهج ليتفادى بقدر الإمكان الوجود المزعج لعدد كبير من الحواشي. ويرى الناقد أن وجهة النظر تلك لا أساس لها من الصحة: فالشرح إما أنها لا تدعو لها الحاجة بتاتاً أو أنها جعلت ضرورية بسبب الافتقار إلى الدقة والأمانة في نقل النص الأصلي.

ويقول نوردلنج إنه إضافة إلى الاعتبارات المهمة التي عُدّت فإن الترجمة تتضمن عدداً كبيراً من الأخطاء اللغوية الحقيقية وهو ما لا يتوقع من الناحية المنطقية أن يقع فيه شخص بهذا المستوى العلمي (الأكاديمي).

وقبل أن يختم الناقد عرضه للترجمة تلك فإنه يتناول نقطة أخرى جد مهمة (خطيرة). ويقرر الناقد أن الترجمة تُقدّم بصفتها منقولة من النص العربي. إلا أن هناك كتاباً يقع في ثلاثة مجلدات من تأليف البروفسور سبرنجر Springer السويسري (من مدينة بيرن) بعنوان "حياة محمد وتعاليمه" يترجم

فيه أجزاء كبيرة من النص القرآني برمته إلى اللغة الألمانية بهدف وضع أساس للأفكار المطروحة في هذا الكتاب وتوضيحها.

ويعتقد الناقد أن ترجمة تورنبرغ هي في معظمها في الواقع، مبنية على المقتطفات الألمانية من ترجمة القرآن الكريم التي تمت على يد البروفسور سيرنجر. ويمضي الناقد في إيراد مقتبسات عدة تدلل على صحة ما ذهب إليه (بهذا الصدد). وحيث إن هذه الأجزاء من ترجمة النص القرآني إلى اللغة السويدية تعكس ترجمة البروفسور سيرنجر الألمانية، وهي الترجمة الحرة (غير الحرفية) المعتمدة على إعادة الصياغة وهي تزيد من الطبيعة الإسهابية لهذه الترجمة. وفي مستهل الجزء الأخير من عرض تلك الترجمة، ولتوضيح فكرته (عن مصدر الترجمة) فإن الناقد يمثل بأجزاء من ترجمة تورنبرغ وما يناظرها من الترجمة الألمانية لسيرنجر. كما يمثل بهدف المقارنة، بالأجزاء المناظرة من النص المترجم لمترجم ألماني آخر هو أولمن Ullman، نشر عام ١٨٤٠م، واشتمل على ترجمة سورة الفاتحة حتى الآية ١٠١ من سورة الأعراف إضافة إلى ترجمة السورة ١٠٩ (الكافرون) وقد دَوَّن ٩١ ملاحظة بعضها طويل تبين التأثير الكبير لترجمة سيرنجر على الترجمة المعنية بالعرض. ويتبع هذه الملاحظات جزء قصير يحوي مقتبسات من الآية ١٣ إلى الآية ٥١ من سورة البقرة. ويشير ذلك إلى أن التعليقات المكتوبة بخط مائل أو بين قوسين إما إنه لا داعي لها، أو إنها تعود إلى أسلوب الإطناب الذي اتبعه المترجم.

ويحوي الجزء الأخير من هذه الملاحظات مقتبسات من بداية السورة الثانية الآية: ١٥ إلى السورة السابعة الآية: ٥٣. ويقصد بهذه المقتبسات التمثيل لإضافات غير ضرورية إلى النص المترجم وإعادة صياغة مسهبة وجنوف عن

النص الأصلي لم توضّح بكتابتها بخط مائل أو أقواس أو غيرها. ويقول نوردلنج ملخصاً حكمه على الترجمة في نهاية عرضه لها: "إن هذا العرض تمخض عن نتيجة غير مرضية في عدة نواحٍ أساسية كما يظهر أخطاءً وعيوباً في شكل الترجمة ومضمونها. يضاف إلى ذلك كله، أن الترجمة مشكوك في أصلها نظراً لأنه تبين أن الترجمة في معظمها هي ترجمة لمقتطفات باللغة الألمانية مستقاة ومترجمة من مؤلف البروفسور سيرنجر المعنون "حياة محمد وتعاليمه" وليس من النص العربي للقرآن الكريم كما يحاول إيهامنا بذلك.

وفي عام ١٩١٧م نشر مستشرق آخر هو كارل فيلهلم تسترستين (Karl Vilhelm Zettersteen)، أستاذ اللغات السامية في جامعة لُند Lund ثم الأستاذ بجامعة أبسالا فيما بعد، نشر ترجمة تكاد تكون حرفية للنص المقدس (القرآني). وقد عدّ علماء العربية الغربيون الترجمة بارعة (راقية)، إلا أنه لكون تسترستين كسابقه من المترجمين المذكورين، غير مسلم فقد صوّر الوحي بأنه ناتج عن عقلية موهوبة (فذة) وعليه فإن الترجمة تفتقر كثيراً إلى الوعي (الفهم) الديني. كما أن التعليقات المرافقة للترجمة، وللسبب ذاته على الأرجح، تتضمن أخطاءً جسيمة بالنسبة لتفسير النص الأصلي. وكمثال يثير السخط على ذلك تعليق على الآية ٢٨ من السورة التاسعة عشرة حيث يعجب أهل مريم (عليها السلام) عندما يرونها تحتضن الطفل عيسى (عليه السلام) قائلين: "يا أخت هارون". ففي تعليق المترجم على الآية يحمل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بصفة كونه مؤلف الكتاب المقدس (القرآن الكريم) لأنه خلط بين مريم أم عيسى (عليها السلام) ومريم أخت هارون وموسى. ومن العيوب البارزة لهذه الترجمة أسلوبها الغريب المهجور المصطنع الذي يذكر

بالتجمات القديمة لنصوص كتب اليهود والنصارى الدينية^(١) والذي يجعل من المتعذر قراءتها بالنسبة للقراء في ذلك العصر (مطلع القرن العشرين) ناهيك عن قارئ اليوم.

ومما يزيد من صعوبة الترجمة تلك حرفيتها، التي أشرنا إليها سابقاً، التي حاول المترجم جاهداً الوصول إليها، وقد فعل، لتمييز نفسه عن المترجم سالف الذكر الذي تعرض للنقد الشديد. وهي حرفية تترك القارئ يتخيل بمفرده معنى عبارات شديدة الإيجاز، حيث يُهَيَأ للقارئ غير العربي من الناحية اللغوية أن كلمات أو حتى عبارات بكاملها تبدو ناقصة. وكان بوسع المترجم أن يوضحها بإضافة بسيطة بين الأقواس مستقاة من كنوز التفاسير العربية. وكان يمكن للتعليقات المتفرقة أن توضح ما يلزمه توضيح إلا أنه لا يوجد سوى إيضاحات ضئيلة، وتتسم التعليقات بشكل رئيس بكونها تشبه ما قد نجد في معاهدة ثقافية ليست موجهة للقراء جميعاً بل إلى طبقة المثقفين من أعداء المترجم ومن أصدقائه. وبالطبع فإن أحد الأسباب الكافية وراء ذلك أن عدد المسلمين آنذاك في السويد بكاملها لم يكن يتجاوز الحفنة من الناس.

وقد وضع محمد كنت بيرنسترم هذه العيوب نصب عينيه إضافة إلى أن الأقلية المسلمة في السويد قد وصلت في نهاية القرن إلى حوالي أربعمئة ألف (أكثر من ٤% من مجموع السكان) وذلك حين شرع في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة السويدية المعاصرة تحت عنوان (رسالة القرآن) (The Message of the Quran) عام ١٩٨٨م أي بعد إسلامه بعامين. وبناءً

(١) المعرفة لدى النصارى بالكتاب المقدس.

على طلب أكاديمية الأزهر^(١) قام عدد من العلماء المسلمين في السويد بمراجعة الترجمة حيث أصدرت أكاديمية الأزهر بموجب ذلك حكماً بأنه لا مانع من طباعة الترجمة وتوزيعها وأنها لا تحوي ما يخالف الشريعة الإسلامية. وبمساعدة مالية من الحكومة السويدية ومنحة مالية من حكومة دولة الكويت، نشرت الترجمة في نهاية عام ١٩٩٩م في دار النشر السويدية الشهيرة بروبريس Proprius. وتحتوي الترجمة على النص العربي على يمين الصفحة والترجمة السويدية على يسارها. كما تحتوي على تعليقات ضافية لمحمد أسد، العالم المسلم النمساوي المولد عقب النص مباشرة حيث هناك إشارات عديدة على آراء وتفسيرات كبار علماء التفسير المسلمين. وبموافقة محمد أسد تمت ترجمة ذلك التعليق على يد بيرنستروم مضيفاً إليه أحياناً ومسهباً في أحيان أخرى. وقد صدرت طبعة ثانية مراجعة تتضمن فهرساً بالأسماء والموضوعات وتقسيم النص لأغراض القراءة إلى أجزاء وأحزاب وأرباع وأثمان، وإشارة إلى المواضع التي يفترض أن يسجد عندها المسلم لدى قراءتها أو الاستماع إليها.

(١) لعل المترجم يقصد جامعة الأزهر.